

## د. جيمس س. سبيجل، الأخلاق المسيحية، الجلسة الرابعة نظرية العقد الاجتماعي

جيم سبيجل وتيد هيلدبراندت © 2024

هذا هو الدكتور جيمس إس. سبيجل في محاضراته عن الأخلاق المسيحية. هذه هي الجلسة الرابعة، نظرية العقد الاجتماعي.

حسنًا، الآن سنتحدث عن نظرية العقد الاجتماعي.

وكما أشرت في نهاية مناقشتنا للنفعية، فإن أحد أشكال النفعية هو النفعية القائمة على القواعد، والتي نسمى بموجبها إلى الالتزام بتلك القواعد، والتي إذا تم اتباعها، فسوف تعظم المتعة لأكثر عدد من الناس. وتهدف نظرية العقد الاجتماعي إلى اتباع هذه الفكرة وتوفير قواعد معينة من شأنها أن ترشدنا كأفراد، فضلاً عن المجتمع بأكمله، وترسيخ مفاهيمنا عن الالتزام الأخلاقي، فضلاً عن الحقوق السياسية، في هذه القواعد الأساسية التي تم اختيارها لتوجيه المجتمع. والفكرة هي أنه إذا تمكنا كمجتمع من التوصل إلى نوع من الاتفاق على القواعد الأساسية التي ستوجه المجتمع، فإن هذا من شأنه أن يؤدي إلى المجتمع الأكثر سلاماً وتناغماً وإنتاجية وسعادة ورضاً.

تسمى نظرية العقد الاجتماعي لأن الفكرة هي أنك تقوم بتشكيل نوع من الاتفاق، اتفاق رسمي، بين المواطنين في المجتمع من أجل تحقيق ذلك. لذا، فإن هذا من شأنه أن يتجنب بعض المشاكل التي تبتلي النفعية القانونية، مثل مشكلة التطبيق، ومشكلة الحقوق، ومشكلة العدالة، على الأقل إذا نجحت نظرية العقد الاجتماعي في جوانب أخرى. ومن بين كبار أنصار نظرية العقد الاجتماعي توماس هوبز، وجون لوك، وجان جاك روسو، وجون راولز.

سنتحدث عن ثلاثة من هؤلاء الفلاسفة، بدءًا من توماس هوبز، الذي قال إن الخوف وأنا ولدنا توأمين لأن أمه كانت حاملاً به أثناء غرق الأسطول الإسباني. كان ذلك في عام 1588. لم تكن تعلم ما إذا كانت هذه ستكون النهاية.

سنموت جميعًا هنا عندما سمعت بهذا الأمر، ودخلت في المخاض وأنجبت توماس هوبز. لكنه كان بخير. عاش الرجل لمدة 90 عامًا تقريبًا.

ولكنه كتب كتابه "ليفثان"، وهذه هي الصفحة الأولى من ذلك الكتاب، والذي إذا تمكنا من التركيز على تلك الشخصية التي تحمل السيف والرمح الثلاثي الشعب أو أي شيء آخر، فإنه يتكون من مئات أو آلاف الأفراد وهي صورة جيدة لفكرة العقد الاجتماعي حيث يتفق الناس ويجمعون ويتفقون على مبادئ أساسية معينة لتوجيه المجتمع حتى يتمكنوا من العمل كما لو كانوا فردًا واحدًا. إن نظرية العقد الاجتماعي التي وضعها هوبز فريدة من نوعها بين منظري العقد الاجتماعي في العصر الحديث المبكر لأنه يدافع عن نوع من السيادة السياسية المطلقة. ويؤكد منظرو العقد الاجتماعي الآخرون على موافقة المحكومين وحتى الحق في الثورة.

هذا ليس نهج هوبز. فهو لا يؤمن بحق الثورة. ولكننا سنتحدث عن الآخرين لاحقًا.

أولاً، فيما يتصل بهوبز، يبدأ هوبز بمفهوم حالة الطبيعة حيث لا يحكم البشر أي قوانين، حيث يحصل الناس على ما يريدونه من الطبيعة: الغذاء والمأوى الذي يحتاجون إليه والملابس التي يحتاجون إليها، ولا توجد سلطة حاكمة. فكيف ستكون الحياة في ظل هذه الظروف، سواء كانت هناك حالة طبيعية حقيقية في تاريخ

البشرية أم لا؟ وكيف ستكون الحياة إذا لم تكن هناك سلطات حاكمة؟ وفقاً لهوبز، ستكون هذه حالة حرب لماذا؟ لأنك وأنا، في مرحلة ما، سنرغب في نفس الشيء

ومع محدودية الموارد، ولأننا لا نملك كمية لا نهائية من السلع التي يمكننا الحصول عليها، فسوف ندخل في منافسة في مرحلة ما. وبما أنني أريد ذلك بشدة، وأنت تريد ذلك بشدة، فسوف ينتهي الأمر في مرحلة ما إلى أنني سأفاتلك من أجله. أليس كذلك؟ وهذا يخلق حالة من الحرب

.ولا يقتصر الأمر على أنت وأنا فقط. فهناك مئات أو آلاف الأشخاص الآخرين في هذه الحالة الطبيعية وسوف تعم الفوضى

،إننا سوف نشهد فوضى عارمة. وفي مثل هذه الحالة الطبيعية، كما يقول هوبز، تصبح الحياة منعزلة، وفقيرة وقذرة، ووحشية، وقصيرة. ولكن من يريد ذلك؟ من يريد أن يعيش في حالة من الحرب والعداوة، حيث نعيش جميعاً في خوف؟ إننا في احتياج إلى الحصول على ما نريد من الطبيعة، ولكنني لا أريد أن أضطر إلى محاربة الناس من أجل ذلك

إن حقيقة أن البشر متساوون تقريباً من حيث الذكاء والقوة البدنية تزيد من تعقيد المشكلة هنا. لأن كل واحد منا يعتقد أنه قادر على هزيمته. ويمكنني التوصل إلى طريقة لهزيمته

وإذا كنا على نفس القدر من الثقة في قدرتنا على الفوز في هذه المنافسة، فإن هذا يزيد من احتمالية أو احتمالية الصراع. لذا، لتمثيل الأمر هنا، لدينا نوع من المساواة في الأمل أو القدرة على تحقيق الأشياء جنباً إلى جنب مع رغبتنا في نفس الأشياء. وهذا ما يؤدي إلى نوع من العداوة وحالة الحرب في حالة الطبيعة

لذا فإن السؤال المطروح هو كيف يمكننا التغلب على هذه المشكلة؟ وكيف يمكننا تجنب حالة الحرب هذه ومحاربة الخوف الذي يصاحبها؟ لا نريد أن نعيش في خوف دائم. وهنا يقترح هوبز وجود حقوق وقوانين أساسية معينة تنطبق علينا لمجرد أننا كائنات عقلانية. ويقول إن الحق الأكثر جوهرية للطبيعة هو حرية الحفاظ على الذات

لدي الحق في الحفاظ على حياتي. ولدي الحق في استخدام أي سلطة أستطيعها للحفاظ على حياتي. وهذا حق أساسي من حقوق الطبيعة، وهو الحق الأساسي في الحياة الذي يعترف به هنا

ثم يؤكد أيضاً أن هناك قانوناً أساسياً للطبيعة يتوافق مع الحق في الحياة، وحرية الحفاظ على الذات. وهذا القانون هو واجب الحفاظ على الحياة، وهو حظر أساسي للتدمير. ولكنني لا أعتقد أنه يؤسس هذا القانون الطبيعي وحق الطبيعة على نحو كاف

يقول إن الأمر يعتمد في النهاية على قدرتنا ككائنات عقلانية. ولكنني أود أن أعرف شيئاً آخر. ما الذي يؤسس لهذا الحق الأساسي وهذا القانون حقاً؟ من أين يأتي؟ إن مجرد الاستئناف إلى رغبتنا العالمية في هذه الأشياء وقدراتنا العقلانية ليس كافياً، ولكن فليكن الأمر على هذا النحو

.هذا هو مطلبه، وأن نسعى إلى احترام هذا الحق الطبيعي والالتزام بهذا القانون الطبيعي للحفاظ على الحياة، لأن وصفه هو أن ينقل جميع الناس معاً حقوقهم الخاصة إلى فرد ذي سيادة أو ربما عدد قليل من الناس، ولكن عادة ما يتم تمثيله في صورة ملك أو ملك أو ملكة. لتبادل حقوقنا مع هذا الحاكم السياسي في مقابل الوعد بالحماية والحفاظ على حريتي

لذا، أتنازل عن شيء وأكسب شيئاً آخر. نحن نعقد صفقة هنا. إنه عقد

إنه اتفاق سندخل فيه وسنضطر إلى اختيار شخص جدير بالثقة

إننا نرغب في أن يكون لدينا شخص موثوق به يتمتع بالشخصية التي تجعلك تثق في أنه لن يسئ استخدام هذه السلطة السيادية. ولكن ما سنفعله هو التنازل عن عدد من حقوقنا الخاصة في مقابل الوعد بأننا سنحظى بالحماية. ورغم أننا نفقد حريتنا المطلقة، فإننا نكتسب الحماية ولن نضطر بعد الآن إلى العيش في خوف.

ولأن هذا الملك يضع قوانين يعاقب عليها القانون إذا خالفها، وخاصة إذا ارتكبت مخالفات جسيمة، وأنت تعلم أنك قد تذهب إلى السجن أو تُعدم إذا ارتكبت جريمة قتل أو اغتصاب، فإن الخوف الذي ميز في الأصل معظم أشكال الحياة في حالة الطبيعة لا ينطبق الآن إلا على أولئك الذين ينتهكون هذه القوانين. فلا داعي للخوف من أي شيء إذا التزمت بالقوانين فحسب. وعلى هذا فإن الملك يضع هذه القوانين، وهناك عواقب بعضها مميت إذا خالفت أهم القوانين، من أجل خلق مجتمع مستقر ومتناغم، وكذلك لإزالة الخوف الذي قد يمنعنا من تجربة السعادة الحقيقية

،إن الطريقة التي يتم بها هذا النقل والتبادل تتم من خلال العقد الاجتماعي أو العهد. وفي مجتمعنا، مرة أخرى لدينا عقد من هذا القبيل، والذي يسمى دستورنا، ولكن لدينا كل أنواع القوانين الأخرى. وقد قاينا بعض الحرية بالأمان، أليس كذلك؟ لا أستطيع أن أقود سيارتي على الطريق بسرعة 150 ميلاً في الساعة إذا كانت سيارتي قادرة على السير بهذه السرعة

ربما أستطيع أن أقود بسرعة 100 أو 120 ميلاً في الساعة، ولكن هذا ممنوع علي. لقد تخليت عن حريتي في القيام بذلك، كما تعلمون، وأنا أعلم أن العواقب ستكون مثل اعتقالي أو دفع غرامة باهظة، وربما سحب رخصتي، ثم يتم تقييد حريتي أكثر. لذا، أقول، حسناً، أوافق على عدم تجاوز حد معين، كما تعلمون، والذي يختلف من طريق إلى آخر

،في مقابل هذا الأمان، أتمتع به لأنني أستطيع الاعتماد على أشخاص آخرين يلتزمون أيضاً بحدود السرعة أليس كذلك؟ وهذا يحميني. لذا، فهي صفقة نعقدتها. إنها نوع من العقد الذي نبرمه مع أولئك الذين يحكموننا وأقراننا في المجتمع

ولكن في اقتراح هوبز، هناك حاكم واحد يتحكم في كل شيء، وكان التاج في عصره مسروراً جداً برؤية أنه يعزز سلطته السياسية. لذا، فإن هذا شيء يخلق بعض الشكوك حول الدوافع الحقيقية لهوبز لدى العديد من العلماء. ومع ذلك، كان هناك منظرون آخرون للعقد الاجتماعي لم يكونوا مهتمين كثيراً بالدفاع عن الوضع الراهن من حيث الحق الإلهي للملوك والملكات

كان جون لوك، الذي عاش بعده بقليل، أحد هؤلاء المفكرين البريطانيين. وفي عام 1690، نشر أطروحته له عن الحكومة المدنية، وكانت أطروحته الثانية عن الحكومة المدنية واحدة من أكثر الوثائق السياسية تأثيراً على الإطلاق. وإعلان استقلالنا، إعلان استقلال الولايات المتحدة، يلخص ويطبق بشكل أساسي نظرية لوك السياسية.

إن قراءة إعلان الاستقلال الأميركي وسيلة جيدة للتعرف على أفكار لوك. فقد كان الآباء المؤسسون للولايات المتحدة بارعين للغاية في متابعة ما كان يجري في ذلك الوقت من منظور نظرية العقد الاجتماعي، فضلاً عن النظر إلى الفكر اليوناني والروماني القديم. ومع هذا العالم الجديد الذي اكتشفوه، والذي كانوا يعيشون فيه والذي اكتشفه الأوروبيون قبل قرن أو قرنين من الزمان، فقد اعتقدوا أن هذه هي فرصتنا الآن بعد أن طردنا المتوحشين، كما أطلقوا عليهم، للبدء من الصفر

لقد أصبح لدينا أساسًا حالة طبيعية. بطبيعة الحال، كان الهنود الحمر ليقولوا الأمور بشكل مختلف بعض الشيء. ولكن مهما يكن من أمر، ورغم كل هذا الظلم، فقد قرر الأمريكيون في ذلك الوقت من أوروبا أننا سنبدأ أمة جديدة.

من الذي سنلجأ إليه لإرشادنا في ما يتصل بإنشاء هذا النظام الجديد؟ لقد قرروا السير على نهج نظرية العقد الاجتماعي، التي كانت في الأساس نسخة لوك من هذه النظرية. فقد بدأ لوك، مثل هوبز، بهذه الفكرة عن حالة الطبيعة، فضلاً عن فكرة حالة الحرب والحقوق والقوانين الطبيعية. وكان يعتقد أن هوبز كان على المسار الصحيح في الأساس هنا.

يحدد لوك الحقوق الطبيعية على أنها الحياة والحرية والملكية. وفي إعلان الاستقلال، غير جيفرسون هذه الحقوق قليلاً، فحول الملكية إلى السعي وراء السعادة، مما جعلها أكثر اتساعاً. ومع ذلك، آمن لوك بهذه الحقوق الطبيعية، فضلاً عن قانون أساسي من قوانين الطبيعة، وهو الواجب بعدم إيذاء الآخرين.

ولكننا نحتاج مرة أخرى إلى مشاركة حدس هوبز، إلى نوع من العقد للحفاظ على تلك الحرية، وكبح جماح الطبيعة البشرية، وتأمين حقوق الملكية. كل هذا إذن يشبه إلى حد كبير توماس هوبز، ولكن حيث يتعد لوك هو في رفضه لفكرة هوبز عن السيادة السياسية المطلقة. فهو لا يعتقد أن السيادة المطلقة مناسبة.

وهو يدافع عن فكرة موافقة المحكومين. ولحسن الحظ، أعتقد أن الآباء المؤسسين اعتقدوا أن هذه هي الطريقة الأفضل. ولنتبنى فكرة لوك عن موافقة المحكومين، حيث يحكم الناس أنفسهم عن طريق نواب معينين أو ممثلين سياسيين.

وهكذا، فإننا ننتخب الناس لخدمتنا على كل هذه المستويات المختلفة، المحلية والولائية والفيدرالية، للعمل في هذه القدرات المختلفة كمشرعين، وكأولئك الذين ينفذون القانون، والوظيفة التنفيذية، وكقضاة يحكمون وفقاً للقانون، حتى أن لدينا نوعاً من نظام الحكم الثلاثي مع توازن القوى الذي تصوره لوك، كما فعل منظرو العقد الاجتماعي الآخرون مثل مونتسكيو. لكن فكرة موافقة المحكومين جديدة إلى حد ما في هذا الوقت، حيث أنك تجعل الناس، كما كانت، سياديين بشكل غير مباشر. لذا، فأنت تحكمني، القاضي المدني، المشرع المنفذ، الرئيس، رئيس الوزراء، وتحكمني فقط لأنني وأقراني نصحت بذلك.

لقد وضعناكم في السلطة. وسنصوت لكم لدخولها، ويمكننا أن نصوت لإخراجكم منها. لذا، فإن هذا نوع من الحكم بموافقة المحكومين.

ورغم أن الآباء المؤسسين الأصليين هم الذين صاغوا هذا العقد الاجتماعي لنا، وقد تعاقبت أجيال عديدة منذ ذلك الحين، فإننا جميعاً ملزمون به. وقد استخدم لوك مصطلح الموافقة الضمنية هنا، حيث حتى لو لم يوقع أي فرد على هذا العقد الاجتماعي، ولم يوقع أي شخص على قيد الحياة اليوم على دستور الولايات المتحدة، فإن بضع عشرات فقط من الأشخاص وقعوا عليه في الأصل، ولكن هذا العقد كان من المفترض أن يمثل كل الناس. وحتى يومنا هذا، يمثل الدستور كل الأميركيين.

يقول لوك إنني أوافق ضمناً على حقيقة أنني بقيت في هذا البلد، واستفدت من كل قوانينه، وكل الأحكام التي تمنحنا إياها الحكومة، وهذا يعني أنني قبلت كل ذلك. وحقيقة أنني ازدهرت بفضل هذا النظام تظهر أنني أظهرت موافقتي. وهذا دليل على موافقتي على الالتزام بالشروط الواردة في عقدنا الاجتماعي وكل القوانين الخاصة التي وضعها هؤلاء الحكام بموافقة أولئك الذين يحكمونهم.

وهذا إذن عنصر بالغ الأهمية في نظرية لوك. أما العنصر الآخر فهو حق الثورة. ولأن الحكام يحكمون بالموافقة فقط، فهناك اتفاق قائم على أن من واجب الحكام، أو الحكام، فرض هذه القوانين وخدمة الشعب بطرق عادلة.

إذا انحرفوا بشكل كبير عن هذا، إذا انتهكوا الجزء الخاص بهم من الصفقة، ولم يتابعوا التزامهم بالحكم السليم، وإصدار القوانين، والحكم على القوانين، وتنفيذها، فإنهم يتنازلون في الأساس عن حقهم في حكمنا وهذا يعني أننا نستطيع التمرد ضد نظام قمعي للغاية لأن ما فعله هذا النظام القمعي بانتهاك حقوقنا بهذه الطريقة والانحراف عن العقد هو أنه أعادنا إلى حالة الطبيعة. وفي هذه الحالة، لدينا الحق في التمرد، والثورة وبدء ثورة.

كان لهذا تأثير كبير على آباءنا المؤسسين ومبرراتهم بعد كل تلك السنوات، في وقت لاحق من القرن الثامن عشر، عندما حكموا بأن التاج البريطاني كان مسيئاً، مسيئاً للغاية من خلال الضرائب دون تمثيل وإيواء الجنود في منازل الناس وعدم احترام الممتلكات، لدرجة أن الوقت قد حان للثورة. وهكذا اندلعت حرب ثورية. اعتقد آباؤنا المؤسسون أن هذا كان تطبيقاً بسيطاً ومباشراً لحق لوك في الثورة.

إذن، هذه سمة مهمة من سمات نظرية لوك السياسية التي أثرت على حياتنا جميعاً. وإذا كنت مواطناً أمريكياً، فلا بد أن تشكر لوك على ذلك، أو تلعنه. والآن، هذا سؤال مفتوح، وسنتحدث عن هذا عندما نتحدث عن الحرب، ما إذا كانت الحرب الثورية عادلة أم لا.

هل تعلمون ما هي المعايير التي تحكم الحرب العادلة؟ بالنسبة لأولئك الذين يؤمنون بالحرب العادلة، هناك من دعاة السلام الذين لا يؤمنون بها. ولكن إذا كنت تعتقد أن الحروب عادلة في بعض الأحيان، فمتى تكون الحرب الثورية مناسبة؟ هناك كثيرون يقولون لا، ومن ثم يتعين عليهم أن يستنتجوا أن الحرب الثورية الأمريكية كانت حرباً غير عادلة. وسنتحدث عن ذلك.

أما المنظر الثالث والأخير للعقد الاجتماعي، فهو جون راولز، الذي درّس في جامعة هارفارد لسنوات عديدة وكتب هذا العمل الرائد في نظرية العقد الاجتماعي بعنوان "نظرية العدالة". وليس من المستغرب أن نقول إن راولز هو أهم منظر للعقد الاجتماعي في القرن العشرين. والآن، يتخذ طريقاً مختلفاً بعض الشيء نحو القواعد. أو المبادئ الأساسية التي يعتقد أننا ينبغي أن نخضع لها في حالة العقد الاجتماعي.

يعتقد أن علينا أن نختار المبادئ الأكثر عدالة. والسؤال هو كيف نصل إلى هذه المبادئ؟ وهنا يقترح تجربة فكرية جديدة إلى حد ما للوصول إلى المبادئ الأساسية للعدالة. فهو لا يلجأ إلى فكرة حالة الطبيعة كما يفعل هوبز ولوك.

على أية حال، هذا خيال مفيد. إنه ليس شيئاً حقيقياً. إنه نوع من التجربة الفكرية.

لا أحد يعرف ما كانت عليه الحالة الأصلية للطبيعة. وحتى هوبز ولوك لا بد وأن يعترفوا بأن هذه ليست سوى نوع من التجارب الفكرية. ويزعم جون راولز أن تجربة فكرية أخرى قد تكون أكثر فائدة، أو يقترح ذلك.

وهذا ما يسميه حجاب الجهل. والسؤال هو: ما المبادئ التي تختارها كمبادئ توجيهية أساسية في المجتمع؟ إذا كنت في حالة من عدم الوعي، أو لنقل عدم الوعي المؤقت، أو نوع من فقدان الذاكرة المؤقت فيما يتعلق بتفاصيل حياتك، أو العرق الذي تنتمي إليه، أو الجنس الذي تنتمي إليه، أو العمر الذي أنت فيه، أو ما إذا كنت قادراً أم معاقاً، أو ما هو معدل ذكائك، أو ما هي مواهبك الخاصة. فلنفترض أنك نسيت كل هذه الأشياء عن نفسك.

ما هي المبادئ التي ستختارها لتكون هي المبادئ التي توجه مجتمعك؟ بمجرد أن تتذكر أو تستعيد ذاكرتك لخصائصك الخاصة، قد تكون معاقاً، أو من الأقلية، أو أبيض البشرة، أو موهوباً أو غير موهوب بطريقة معينة. ما هي المبادئ التي ستختارها؟ هذه هي الطريقة التي يجب أن نتعامل بها مع هذا الأمر، وفقاً لراولز. يعتقد أن هذه التجربة الفكرية لحجاب الجهل ستقودنا إلى أكثر مبادئ العدالة موثوقية وفائدة

لقد استقر على مبدئين مختلفين، ثم طبقهما بعد ذلك بدقة شديدة على مؤسسات مختلفة أثناء تطويره لأساسيات نظريته. أحد هذين المبدئين هو مبدأ الحرية المتساوية. فوفقاً لمبدأ الحرية المتساوية، يتمتع كل شخص بحق متساو في أوسع نطاق من الحرية الأساسية التي تتوافق مع الحرية المماثلة للآخرين

لذا، فلنعمل على تعظيم الحرية قدر الإمكان إلى الحد الذي يتوافق مع حرية كل شخص آخر. وهذا نوع من التطبيق أو التعبير عن فكرة مفادها أن حقي في تحريك ذراعي يتوقف عند نهاية أنفي. وبصفة عامة، يتعين علينا تعظيم الحرية للأفراد إلى الحد الذي يتوافق مع حرية الأفراد الآخرين

ثم يقابل هذا المبدأ أو يصاحبه ما يسميه مبدأ الاختلاف. ووفقاً لهذا المبدأ، الذي يعترف بأن التفاوت سوف يظل قائماً دوماً. والتفاوت إلى حد ما أمر لا مفر منه دائماً في المجتمع الذي يضم أعداداً كبيرة من الناس

ولكن إلى أي مدى ينبغي لنا أن نسمح بهذه الأمور؟ وفقاً لمبدأ الاختلاف، ينبغي ترتيب أوجه التفاوت الاجتماعي والاقتصادي بحيث تكون واحدة، ومن المتوقع بشكل معقول أن تكون في صالح الجميع، وثانياً مرتبطة بالمناصب والمناصب المفتوحة للجميع. والآن، فإن هذا المبدأ أكثر إثارة للجدال من مبدأ الحرية المتساوية من حيث الاهتمام العلمي والمناقشة والمناظرة. ولكن الفكرة الأساسية هي أنه إلى الحد الذي يسمح فيه بوجود أوجه تفاوت، مثل التفاوت الاجتماعي والاقتصادي، فإنها تحتاج إلى أن تكون بحيث يمكن للجميع أن يبدو وكأنهم يستفيدون منها أو يستفيدون منها

حسناً، ماذا يعني ذلك؟ كيف يمكن لشخص في وضع اجتماعي واقتصادي أدنى أن يستفيد من وجود شخص في وضع أعلى؟ حسناً، إذا كان الشخص في هذا الوضع الأعلى يقوم بأشياء ذات قيمة اجتماعية، فهذا يفيد الأشخاص في الدرجات الأخرى. لذا، على سبيل المثال، طبيب، أو جراح أعصاب، مثل بن كارسون، هذا رجل ثري للغاية. كيف أصبح ثرياً؟ إنه في أعلى السلم الاجتماعي والاقتصادي

أوه، إجراء جراحات المخ وإنقاذ الأرواح، القيام بشيء ما، تنفيذ عملية جراحية، وتطبيق مهارات لا يمتلكها بقبينا. وكان قادراً على القيام بذلك من خلال سنوات وسنوات من التدريب المكثف. كان على استعداد للقيام بذلك

لقد كان يتمتع بالقدرة المعرفية فضلاً عن اليد الثابتة والصبر اللازمين للقيام بذلك. ولذا، فأنا سعيد بالتأكيد بالتواجد في مجتمع يستفيد فيه الناس بشكل كبير، بل ويصبحون من أصحاب الملايين كجراحي أعصاب ويقومون بجميع أنواع الأعمال الممتازة الأخرى في الطب لأن ذلك يعود بالنفع عليّ. وهكذا، ينطبق الأمر حتى على الرياضيين والفنانين، اعتماداً على من أنت، حيث يمكنك أن تقول، نعم، يمكن أن يحصلوا على الملايين أيضاً لأنني أقدر حقاً الموسيقى والأفلام ومشاهدة مباريات كرة القدم التي تُلعب على مستوى عالٍ وما إلى ذلك

ولكن هذه هي الأشياء التي قد نناقشها في سياق نظرية العقد الاجتماعي لراولز. ما هي أنواع الخدمات أو المهارات التي يتمتع بها الناس والتي يكسبون مقابلها الكثير من المال؟ هل من المناسب لهم أن يكسبوا كل هذا القدر من المال؟ هل من المناسب حقاً للاعب كرة سلة محترف أو أي رياضي محترف آخر أن يكسب ملايين الدولارات سنوياً من خلال تمرير كرة مطاطية عبر حلقة معدنية أو ضرب جلد البقر بحطب الرماد؟ حقاً؟ كثيرون قد يقولون: بن كارسون، بالتأكيد. جراح أعصاب، نعم

ولكنني لست مقتنعاً تماماً بأن كلايتون كيرشو، الذي يرمي الكرة بسرعة 95 ميلاً في الساعة مراراً وتكراراً، من شأنه أن يدر عليه مئات الملايين من الدولارات. لذا، هناك الكثير من التفاصيل التي يمكننا مناقشتها هنا ولكن هذه فكرة أساسية. والجزء الثاني من مبدأ الاختلاف هو أن هذه التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية في الطرف الأعلى، حيث يكون الناس من أصحاب الملايين والمليارات، لا بد أن تكون هذه الفرص متاحة للجميع على الأقل.

من حيث المبدأ، يجب أن يكون من الممكن لأي شخص أن يصل إلى هذا الهدف. والآن، هل يمكن تحقيق ذلك؟ مرة أخرى، هذا أمر مفتوح للتساؤل، ولكن هذه هي الفكرة الأساسية. لذا، طور راولز هذه النظرية على نطاق واسع، وهي نسخة أخرى من نظرية العقد.

إنها نفس الفكرة الأساسية التي طرحها هوبز ولوت: لا بد أن يكون هناك نوع من الاتفاق الرسمي الذي يشكل هذا العقد، وأن يتم بناء المجتمع وفقاً لذلك. والآن، هذه لمحة جيدة إلى حد ما عن نظريات العقد الاجتماعي الرئيسية، وأعتقد أن هناك نقاط قوة معينة نحتاج إلى الاعتراف بها هنا. إن أخلاقيات العقد الاجتماعي تمنحنا بعض الإجابات البسيطة والمعقولة على بعض الأسئلة الصعبة فيما يتصل بكيفية عيشنا، على الأقل في مدينة أو مجتمع مدني.

إنها توفر قواعد أخلاقية حتى للمتشككين والنسيبيين. وهي تشمل الجميع. أعني، إذا كنت تعيش في مجتمع به عقد اجتماعي معين، فإن كل هذه القواعد تنطبق عليك، وبالتالي فهي تشمل الجميع، ويبدو أن هذه هي قوة هذه النظرية.

كما أنها تستفيد من رؤية مهمة للغاية، والتي تم التقاطها في شيء يسمى معضلة السجين، وهو نوع مفضل من التجارب الفكرية في نظرية الألعاب، والتي تظهر أنه في مواقف معينة، فإن الأشخاص الذين يتصرفون وفقاً لمصالحهم الذاتية سيتخذون خيارات ليست مثالية في الواقع، والتي تعمل ضد مصالحهم الذاتية، وأن الشيء الأكثر عقلانية هو أن تكون على استعداد لتقديم بعض التضحيات من أجل مصلحة الجميع، ومن ثم فإن هذا سيفيدني، وتقديم هذه التضحيات وعدم الانغماس في الذات تماماً، سيكون لمصلحة الجميع. نحن بحاجة إلى أن نكون على استعداد للتضحية ببعض مصالحنا لتحقيق أفضل مصالحنا. هذا هو نوع من المفارقة التي تم التقاطها في معضلة السجين، والتي تم تأكيدها في أخلاقيات العقد الاجتماعي.

إن هذه إذن نقاط قوة ورؤى مهمة في نظرية العقد الاجتماعي. ولكن هناك بعض المشاكل، على الرغم من ذلك. إحدى هذه المشاكل هي أن نظرية العقد الاجتماعي تستند إلى بعض التجارب الفكرية التي لا يمكن الاعتماد عليها بالكامل.

إنك تمتلك روايات تاريخية مثل "حالة الطبيعة" وتجارب فكرية مثل "حجاب الجهل". ولكن إلى أي مدى يمكن الوثوق في هذه التجارب؟ وربما لا تكون حدسي حول ما قد نستقر عليه كمبادئ أو قواعد أساسية لحكم المجتمع هي نفسها التي قد تختارها. وهذا يجعل الحقوق والواجبات مصطنعة.

إن هذا يشكل نوعاً من الطرق المصطنعة للوصول إلى القواعد الأخلاقية. وهل هي في واقع الأمر قواعد أخلاقية بقدر ما هي أوامر سياسية لا تصلح حقاً إلى المستوى الأساسي للأخلاق؟ وهو يوجه هذا الانتقاد. وهو ما أعتقد أنه مهم أيضاً. وثالثاً، هناك اتفاق عالمي على مبادئ معينة.

ولكن هذا لا يضمن أن تكون هذه المبادئ في حد ذاتها عادلة. ولناخذ راولز على سبيل المثال. فهو يستقر على مبدأ المساواة في الحرية ومبدأ الاختلاف، وهو المبدأ الذي يعتقد أن الناس الذين يختبئون وراء حجاب الجهل سوف يختارونه كمبادئ توجيهية نهائية للمجتمع.

أولاً، كيف يمكنه أن يكون على يقين من أن هذا هو ما سيختاره الجميع؟ ألا يوجد على الأرجح بعض الناس الذين قد يختلفون معه؟ ربما تكون الأغلبية. ربما يكون رولز والأقلية من أفضل المفكرين هم الذين سيستقرون على هذه المبادئ. نحن نوعاً ما تحت رحمته عندما نقرأ كتابه، أليس كذلك؟ هذه هي المبادئ التي يختارها الناس العقلانيون خلف حجاب من الجهل.

ولكن الأمر الأكثر أهمية من ذلك هو أنه حتى لو كانت هذه هي المبادئ التي يختارها الناس العقلانيون، فإن هذا لا يعني بالضرورة أن هذه المبادئ في حد ذاتها عادلة. فمجرد كون هذه المبادئ هي المبادئ التي يميل الناس إلى الاتفاق عليها، لا يعني بالضرورة أن هذه المبادئ في حد ذاتها هي الأكثر عدالة. لذا فهناك قفزة هنا

إن هذا نوع من عدم الترابط. وأعتقد أن هذا يشكل عيباً قاتلاً في نظرية راولز، إذ يفترض أن احتمال اختيار الناس لمبادئ معينة يضمن عدالة هذه المبادئ ذاتها. وعلى هذا فإن أخلاقيات العقد الاجتماعي تشكل وسيلة لبلورة وجهة النظر النفعية الريفية التي تشكل أهمية بالغة على المستوى التاريخي.

ومرة أخرى، تأثرت حياتنا جميعاً بهذا الأمر بشكل عميق. وهو أمر بارع في كثير من النواحي وعملي للغاية. ومن وجهة نظر سياسية، قد يكون هذا أفضل ما يمكننا فعله.

ولكن لا تزال هناك عيوب، والأهم من ذلك، هل هذا كافٍ حقاً لكي تستوعب الأخلاق أعمق واجباتنا والتزاماتنا وحقوقنا الأخلاقية؟ هناك قيد كبير في نظرية العقد الاجتماعي. ويزعم كثيرون، وأنا أزعم، أن هذه النظرية مفيدة من وجهة نظر سياسية في صياغة مجتمع له دستور. لكنها في الواقع لا تقدم الكثير من المساعدة فيما يتصل بإخبارنا بما هي أعمق واجباتنا الأخلاقية، واجباتنا الأخلاقية وحقوقنا الأخلاقية العالمية.

لذا، سيتعين علينا الانتقال إلى نظرية أخرى قد تكون أكثر ملاءمة. وهذا ما سنفعله بعد ذلك.

هذا هو الدكتور جيمس إس. سبيجل في تعليمه عن الأخلاق المسيحية. هذه هي الجلسة الرابعة، نظرية العقد الاجتماعي.